

الحبُّ الحقيقي ﷻ تعالى



«نعرف الحب أو لا»، فما هو الحب؟

- ما معنى الحب؟

إذ قلت إنِّي أحبُّ الشيء أو الشخص الفلاني، فماذا تعني بقولك (أحبُّه)؛ تعني واحداً من الأمور التالية، أو كلاهما:

1- جعلتُ قلبي معرّضاً لحبّه.

2- أثرته على غيره.

3- مِلْتُ لَهُ مِيلًا شَدِيدًا .

4- طَلَبْتُ الْقُرْبَ مِنْهُ .

5- أَطَعْتَهُ وَاتَّبَعْتُ أَوْامِرَهُ .

وَحُبُّ الشَّيْءِ أَوْ الشَّخْصِ يَكُونُ أَحَدَ ثَلَاثَةِ أَنْوَاعٍ:

1- (مَحَبَّةٌ لَذَّةٌ) كَحُبِّ الرَّجُلِ لِلرَّأْسَةِ وَالرَّأْسَةِ لِلرَّجُلِ.

2- (مَحَبَّةٌ نَفْعٌ) كَحُبِّ الْمَالِ، فَحُبُّ النَّاسِ الْمَالِ لَا لِأَوْرَاقِهِ النَّقْدِيَّةِ أَوْ قِطْعَةِ الْمَعْدِنِيَّةِ، بَلْ لِمَا يُحَقِّقُ لَنَا مِنْ مَنَافِعٍ، وَيُلْبِئِي لَنَا مِنْ حَاجَاتٍ.

3- (مَحَبَّةٌ فَضْلٌ) كَمَحَبَّةِ الْعُلَمَاءِ الْأَدْبَاءِ وَالْمُحْسِنِينَ.

كُلُّ الْمَوَاصِفَاتِ الْخَمْسِ فِي تَعْرِيفِ الْحُبِّ تَنْطَبِقُ عَلَى حُبِّنا ﷻ، وَنَوَعَانِ مِنْ أَنْوَاعِ تَصَحُّ وَتَصَدَّقُ عَلَيْهِ، وَهُمَا: (مَحَبَّةُ النَّفْعِ) وَ(مَحَبَّةُ الْفَضْلِ)، فَإِنَّ تَعَالَى النَّفْعَ الَّذِي بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَإِنَّ ذُو الْفَضْلِ وَالْإِنْعَامِ وَالْمَنْ وَالْإِحْسَانَ، وَإِنَّ تَعَالَى يُحِبُّ لِدَاثِهِ لِأَنَّهُ مَجْمَعُ الْكَمَالَاتِ.

أ- (مَحَبَّةُ ﷻ تَعَالَى لِلْعَبْدِ): مِنْ خِلَالِ إِيجَادِهِ وَتَرْبِيَّتِهِ، وَتَغْذِيَّتِهِ، وَحِرَاسَتِهِ، وَلَطْفِهِ بِهِ وَإِحْسَانِهِ، وَإِكْرَامِهِ وَإِنْعَامِهِ عَلَيْهِ، وَهُدَايَتِهِ إِلَى سَبِيلِ الْخَيْرِ وَمَنْحِهِ السَّعَادَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ: وَهَذَا (حُبٌّ عَامٌ).

وَهُنَاكَ حُبٌّ خَاصٌّ لِلصَّالِحِينَ وَالْمُخْلِصِينَ مِنْ عِبَادِهِ كَالْتَوَابِينَ وَالْمُتَطَهِّرِينَ.

ب- (مَحَبَّةُ الْعَبْدِ ﷻ تَعَالَى): بِطَلَبِ الزُّلْفَى (التَّقَرُّبِ وَالتَّوَدُّدِ) إِلَيْهِ، وَطَاعَتِهِ وَعِبَادَتِهِ، وَالاسْتِجَابَةَ لِأَوْامِرِهِ، وَالْإِنْتِهَاءَ عَنْ نَوَاهِيهِ، وَعَمَلُ مَا يُقَرِّبُ مِنْهُ وَيَزِيدُ الْحُضُورَةَ عِنْدَهُ، وَحُبُّ كُلِّ مَنْ يُحِبُّهُ ﷻ عَزَّ وَجَلَّ. يَقُولُ النَّبِيُّ الْأَكْرَمُ (ص): "أَحِبُّوا ﷻ لِمَا يَغْذُوكُمْ مِنْ نِعَمِهِ، وَأَحِبُّوا لِحُبِّ ﷻ".!

وَعَرَّفَ بَعْضُهُمْ حُبَّ ﷻ سُبْحَانَهُ بِالْقَوْلِ: هُوَ عَاطِفَةٌ إِيْمَانِيَّةٌ تَتِمُّثَلُ فِي:

أ- المَيدَل النفسي إلى ا تعالً.

ت- الاستعداد الدائم للأنس والالتذاذ بلفائه.

ويرتكز هذا الحبّ - بحسب الدراسات النفسية التحليلية - على (حبّ الذات) الذي يمتدّ بها إلى حبّ خالقها، فأصدق حبّ الذات هو حبّها ، لأنّه بذلك تطلب لنفسها الخير والصلاح والاستقامة والنجاة في القيامة، وبمعنى آخر فإنّك بحبكّ ا تعالً تحقّق لذاتك ما يلي:

1- التمتّع بفيض نرعمه وبركاته وتوفيقاته.

2- السلامة من الآثام والشور، لأنّ منهجه يُبعدك عن كلّ ذلك.

3- بلوغ أعلى درجات الكمال، فحبّه تعالً متنامي، أي ينمو باستمرار، ويأخذ دائماً صيغة الإعلاء والتّرقّي والسّمو.

4- الأُنس بالآفاق المعنوية الرحبة التي تنتجها حالات التقرّب منه والتودّد إليه.

5- الفوز برضوانه وجنّته في ختام الرحلة الحياتية.

- التعبير عن الحب:

الإعراب أو الإفصاح عن مشاعر الحبّ يتّخذ ثلاثة أشكال متكاملة، وهي:

أ- التعبير اللفظي.

ب- التعبير القلبي.

ت- التعبير العملي.

في التعبير اللفظي تنطلق كلمات الحبّ - كما الذّبيح - متدفّقة من (الجوف) إلى (السطح).. من قرارة النفس إلى الشفتين، وفي حبّ الله والتعبير عنه من لدن المحبّ، ويتجلّى ذلك في (الدعاء) و(الذّكر) و(الشكر) وفي (المناجاة) بصفة عامّة.

وفي التعبير القلبيّ يتحرّك الإحساس بعُمق الحبّ وشدّته ليبتّ لواعج الشوق، والشعور باللطف والامتنان، والإدراك الداخلي لقيمة المحبوب وقيمة كلّ ما يرتبط به.

في (الذّكر) حتى لو لم تتلفّظ لكلمات الذّكر المعهودة، وخطر لك شيء من عظمة الله وقدرته، فأنت ذاكر.. والذّكر (طاقة).

وفي (الشكر) حتى لو لم تنطق بكلمات الشكر المعروفة، وجالّ في ذهنك شيء من لطف الله وفضله ونعمته، فأنت شاكر.. والشكر (طاقة).

وفي (النّيّة) حتى ولو لم تتفوّه بما تنوي عمله، وكنت قصدت عمل شيء واستحضرت ذلك في نفسك، وعقدت العزم على تنفيذه، فأنت قد نويت، والنّيّة (طاقة).

هذا هو التعبير التقريبي للحبّ القلبيّ أو التعبير عن الحبّ القلبي.

وأما التعبير العملي عن الحبّ، فهو أرقى درجات التعبير عن الحبّ، لأنّه يجمع التعبيرين السابقين. وزيادة: هو لفظي، قلبي، ومتحرّك في الخارج أيضاً.. هو (بلورة) و(تجسيد) لتلك المشاعر المتراكمة في ينبوع القلب، والسائلة على اللسان والشفتين، والمعبّر عنها بأفعال حيّة توصل إلى المحبوب رسائل الحبّ حارة، ودافئة، مُشعرة بمدى ما ينطوي عليه ضمير المحبّ أو داخله من أشواق ومودّة وعرفان.

في الحبّ الإلهي العملي:

تمسيدة رأس اليتيم.. حبّ.

إيصال الصدقة (الإحسان) إلى مُستحقّه من غير أن يعلم مَنْ تصدّق عليه، وحتى مع علمه.. حبّ.

التحية على كلِّ مَن تلقَّاه لمَن تعرف من الناس وممَّن لا تعرف.. حبٌّ .

قضاء حاجة محتاج، حتى ولو بأن تدلَّه على مَن يقضيها له.. حبٌّ .

الاستماع إلى شكوى مشتكٍّ، حتى ولو لم تحلَّ له مشكلته..

حبٌّ .. وإن كنتَ قادراً على حلِّها، فذلك حبٌّ أكبر.

توجَّهك للعمل في سبيل □ - أياً كان حجمه - حبٌّ .

استجابتك لأوامر القيادة الصالحة.. حبٌّ .

وقوفك بين يدَي □ - في أيَّة ساعة من ساعات نهارك أو ليلك، داعياً، ومُملِّياً، وذاكراً، ومُتضرِّعاً.. حبٌّ .

خدمتك لأهل بيتك.. لجيرانك.. لزملائك.. للمُسنِّين.. للضعفاء من الأطفال والنساء.. حبٌّ في حبٍّ .. مساحة الحبِّ أوسع من أن تُحدَّد.

- الحبيب المثالي:

لو سألنا أنفسنا السؤال البديهي التالي:

نحنُ نحبُّ مَن؟

- مهما تعدَّدت الإجابات عن السؤال، واختلفت زوايا النظر إليه، فإنَّها لا تتعدَّى

الإجابات التالية:

نحنُ نحبُّ مَن؟

- 1- مَن يُحسِّن إلينا ابتداءً، وله الفضل علينا في أكثر من مجال.
- 2- مَن يُسامحنا ويصفح عنا إذا أخطأنا بحقّه، ويرحم نقاط ضعفنا.
- 3- مَن يتفقّدنا في جميع الأحوال: في الصحّة والمرض، في الفقر والغنى، في الغياب والسفر... إلخ.
- 4- مَن يعلمّ منا ما لا نعلم، ويرشدنا إلى ما يُصلحنا، ويهدينا إلى ما هو خيرٌ لنا.
- 5- مَن يُقابل إساءتنا بالإحسان.
- 6- مَن يُعطينا أكثر من استحقاقنا، وأحياناً بدون استحقاق، ويُضاعف لنا العطاء على العمل الصغير.
- 7- مَن يمتلك صفات ومواصفات جديرة بالحبّ والانجذاب والتعلّق.. صفات كمال نفتقر إليها، ويمكن أن نستكمل بها نقصنا من خلال الاقتداء بها.
- 8- مَن لا يقطع الصّلة معنا حتى ولو قطعناها معه.
- 9- الصادق معنا دائماً في أقواله وأفعاله ووعوده.
- 10- الذي لا يتخلّى عنّا في الشدائد والمآزق والمواقف الحرجة.. لا يخذلنا ولا يُسلِّمنا إلى الأعداء، وينصرنا إذا احتجنا إلى النصر، ويغيثنا إذا استغثناه.
- 11- الذي يكون معنا أينما كنّا: في اليقظة والنوم، والانكسار والانتصار، والوحدة والجمع.. في السجن، وفي الحرّية.. وحيثما نكون.
- 12- مَن يؤنسنا ويُسعدنا بصحبته.. لا يملّنا ولا يُعرض بوجهه عنّا، متى أتيناه رأينا بابه مفتوحاً ويديه مفتوحتين.. لا يتعذّر عن مقابلة، ولا يقصّر في الاستجابة لطلب.

إنَّ حبيباً بهذه المواصفات العالية لا يوجد في دنيا الحبِّ إلا في نموذجين اثنين فقط لا غير:

الأوّل: الله تبارك وتعالى بما يحمل من أسماء حُسنى وصفات جلال وكمال وجمال هي عين ذاته، أي أنّها (مطلقة).. كلُّ منها مكتنز بمعناه حدّ الامتلاء.

الثاني: مَنْ تحوّل من الناس إلى حقيقة هذه الأسماء والصفات متخلّصاً بها، ومتوسّلاً بها للوصول إلى الغاية القصوى للكمال، ليكون من أهل الله، وأحبّائه، وأصفيائه، وعمّاله وجنوده وحزبه، أي أنَّ غاية الحبِّ بالنسبة لغير الحبيب المثالي هي بلوغ درجة (التخلّق بأخلاقه).►